إصلاح الرأسمالية

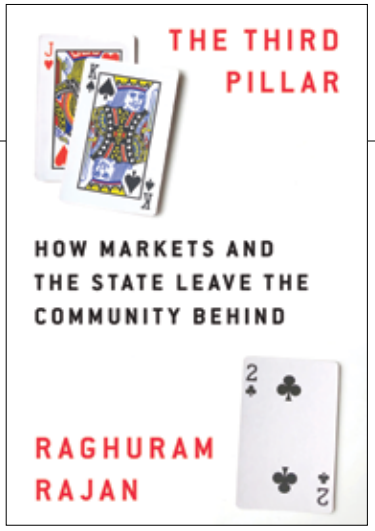

راغورام راجان
الدعامة الثالثة: كيف تترك الأسواق والدولة المجتمع المحلي متأخرا عن الركب
Raghuram Rajan
The Third Pillar: How Markets and the State Leave the Community Behind
Penguin Press
New York, 2019, 464 pp., $30.00

ظلت **الأسواق والدولة** تتنافسان منذ زمن طويل من أجل السيطرة على ما أسماه لينين المرتفعات المسيطرة على الاقتصاد. ولكن بعد «سقوط جدار برلين» بدت الأسواق هي صاحبة اليد العليا، حتى أن كثيرا من أصحاب الفكر اليساري، وهم المؤيدون التقليديون للدولة القوية، أصبحوا من أنصار الأسواق الحرة. وأعلن الاقتصادي الألمعي «لاري سامرز» عن «إعجابه المشوب بالتردد» بشخص «ميلتون فريدمان» ونادى أثناء توليه منصب وزير الخزانة الأمريكية في التسعينات بتطبيق العولمة المالية، أي تدفق رؤوس الأموال بحرية عبر الحدود الوطنية.

غير أن «راغو راجان» لم يذعن قط لهذه النشوة السائدة. ورغم إيمانه القوي بالأسواق الحرة ومنافعها، فقد ظل يردد ما تترتب عليها من تكلفة. وذكر في كتاب بعنوان *«Saving Capitalism from the Capitalists»* (إنقاذ الرأسمالية من الرأسماليين) أنه ينبغي توفير المساعدة لضحايا التنافس من أجل التخفيف من آلامهم وتأمين مستقبلهم، فكتب «الأسواق بحاجة إلى قلب من أجل مصلحتها الذاتية». وفي عام ٢٠٠٥، أثناء إلقاء كلمة أصبحت شهيرة في الوقت الحالي، نبه «راجان» إلى أن الإفراط في العولمة المالية زاد من احتمالات حدوث «انهيار كارثي»، مما عاد عليه بنقد لاذع من سامرز حيث وصف راجان بأنه «من أتباع حركة اللاضية (Luddite) إلى حد ما» و«بعيد عن الصواب إلى حد كبير».

وقد أثبتت الأزمة المالية العالمية ومشاعر الاستياء إزاء العولمة صحة تنبؤات راجان. وفي آخر كتبه يسعى راجان إلى تجاوز مرحلة التحذير من مخاطر النظام الرأسمالي غير المقيد وصولا إلى ما يمكن عمله لإصلاحه. ويقترح إعادة تنصيب دعامة المجتمع الثالثة، أي المجتمع المحلي، وهو حسب تعريفه جماعة اجتماعية تقيم في منطقة معينة ولها حكومة واحدة وغالبا ما يكون لها تراث مشترك. وتبقى الأسواق والدولة لا غنى عنهما، ولكن «عندما يتحقق التوازن الملائم بين دعامات المجتمع الثلاث» ... «تتاح للمجتمع أفضل فرصة لرعاية مصالح أفراده»، لا سيما المتضررين من آثار التجارة والتكنولوجيا.

ويلفت راجان الانتباه للضرر الناجم عن التجارة الدولية. ففقدان الوظائف في الولايات المتحدة نتيجة زيادة التنافس الدولي، على سبيل المثال، ساهم في انخفاض متوسط العمر المتوقع للذكور ذوي البشرة البيضاء من غير الأصول اللاتينية. ويذكر في كتابه أن «الأمر يبدو وكأن هناك عشرة حروب مثل حرب فييت نام كانت مندلعة بشكل متزامن، ولم تكن في بلاد بعيدة، وإنما في بيوت في بلدات صغيرة ومناطق ريفية في أمريكا». ومع ذلك فقد كان مصير هذه المجتمعات المحلية هو الإهمال الكبير من جانب حزبي المؤسسة الحاكمة التقليديين، اللذين يرثيهما راجان بقوله «إنهما لا يعترفان حتى بالحاجة إلى التغيير» وغالبا ما يوجهان اللوم الشديد للمتضررين من آثار التجارة والتكنولوجيا باعتبارهم منتمين لسلة من البائسين.

ولا شك أن راجان يدرك أن المجتمعات المحلية أيضا يمكن أن تكون مصدرا للخطر. ويتضمن كتابه سردا مثيرا لكيفية تغلب الأسواق والدولة على جوانب قصور المجتمعات الإقطاعية، التي حققت الاستقرار، ولكن لم يكن لها دور يذكر في الحيلولة دون وقوع معظم الناس في براثن الفقر. والمجتمعات الجديدة كذلك تقيم الجدران، ويمكن للتأكيد المفرط على التقاليد، والخوف من الغرباء والأفكار الجديدة، أن يؤديا بالناس إلى «الوقوع في أسر الماضي».

> لا بد أن تنتقل السلطة من المستويين العالمي والوطني إلى مستوى المجتمع.

ومع ذلك، يذهب راجان إلى أن الأسواق والدولة اغتصبا سلطة المجتمعات، ولا بد من إعادة التوازن. ولا بد أن تنتقل السلطة من المستويين العالمي والوطني إلى مستوى المجتمع. ويذكر راجان أنه مع بدء الآلات والروبوتات في إنتاج المزيد من سلعنا وخدماتنا، فإن العمل البشري «سينصب تركيزه مرة أخرى على العلاقات الإنسانية». فالمجتمعات يمكن بالفعل أن تصبح مكان عمل المستقبل. FD

براكاش لونغاني يعمل مديرا مساعدا في مكتب التقييم المستقل بصندوق النقد الدولي.